



أمّ المعارك... الحبلى بالحروب

يا ليت الامور هي بالبساطة التي يصوّرها بعض الاعلام العربي حين يقدم المواجهات المشتعلة في العراق كأنها بداية "ام المعارك" لطرد المحتل الاميركي. يا ليت العراقيين انفسهم بسطوا الامور بعد سقوط صدام حسين فتقدموا الى العالم شعباً واحداً موحداً يشترك في الهدف عينه، لا طوائف واتنيات تتناش سلطة لم تتسلمها بعد. يا ليت العراقيين يكذبون اليوم وغداً، وعلى الارض، ما امضوا عاماً على اثباته من تشرذمهم، فيتوحدون حول هدف بناء الدولة الديموقراطية السيدة الحرة من اي احتلال.

من يقف على بعد آلاف الكيلومترات من الحلبه، يتظاهر امام سفارة اميركية في اوروبا او اليابان ويندد بغطرسة جورج بوش، يستطيع ربما الاقتناع بأن الخيار هو بين هزيمة الامبراطورية الاميركية وانتصارها. ولعله يكون على حق إن تمسك بنظرة ثنائية لا تحتمل اللبس ولا التردد. ولكن نحن، في بلدان العرب، هل يحق لنا ان نسقط على العراق والعراقيين كل وزر مقاومة الامبراطورية فنقف مبتهجين مصفقين؟ بل هل يحق لنا ان نصدق ان ما يحصل في العراق هو معركة واضحة المعالم ضد الامبراطورية واحتلالها؟

ربما كان يحق لنا ذلك لو اننا نجهل كيف تنشطر المجتمعات المركبة، وإلام يفضي تحلل الدولة. ربما كنا نستطيع ان نبتهج لولا ما حفظته الذاكرة عن حروب ليست بعيدة بدت لمن خاضها مشروعة بل ضرورية، لكنها مزقت دولا وشعوباً عربية باكملها لاعوام واعوام. ربما كان علينا ان نصق لو لم نحمل ارث حرب لبنان، ونزاعات السودان، وفتنة الجزائر. ولو لم نقرأ شيئاً عن الصومال، وليبيريا، وسييراليون.

لا غرابة ان كانت الذاكرة معدومة على جري العادة، وإن تبددت دروس التاريخ القريب امام اوهام البطولة، بطولة الآخرين المشتهاة. لكن ما يرفضه اللاوعي المجبول باخفاقات اللحم القومي و/او الديني، لا يمكن العين الا ان تراه. وما تراه العين هو مشهد عراقي متشظ، اعقد واخطر بكثير مما يراد تصويره، حيث المقاومة المتعجلة قد تكون اقصر الطرق الى حرب اهلية تهدد ليس فقط بتحويل العراق حقلاً من الدم، بل باغراق المنطقة بأسرها في الرمال المتحركة.

قطعاً، ليس الاحتلال سبيل الاستقرار. لكن المقاومة العراقية، كما هي الآن وكما يمكن ان تتحول، ليست هي ايضاً سبيل النهوض. ولنفترض مثلاً انها انتصرت، بمعنى انها اجبرت الاميركيين على سحب قواتهم، فهل سيكون ذلك في مصلحة الشعوب والدول العربية المجاورة؟ وهل لاي دولة عربية، او لاي شعب عربي في جوار العراق، مصلحة في ان يصبح مقتدى الصدر، او من يوازيه في المقلب السني، رمز العراق الجديد والمثال الذي يحتذى؟ ولمزيد من التحديد، هل تستطيع السعودية وسوريا والاردن، من دون ان ننسى لبنان، تحمّل ثمن الفوضى المستديمة في العراق؟ يا ليتنا لم نكن نعرف الجواب مسبقاً، لكننا صدقنا ان الامور هي حقاً بالبساطة التي يصورون، وان أم المعارك ليست الحرب الحبلى بحروب اعظم.

سمير قصير وفتنة الجزائر. ولو لم نقرأ شيئاً عن الصومال، وليبيريا، وسييراليون.



لا غرابة ان كانت الذاكرة معدومة على جري العادة، وإن تبددت دروس التاريخ القريب امام او هام البطولة، بطولة الآخرين المشتهة. لكن ما يرفضه اللاوعي المجبول باخفاقات الحلم القومي و/او الديني، لا يمكن العين الا ان تراه. وما تراه العين هو مشهد عراقي متشظٍ، اعقد واخطر بكثير مما يراد تصويره، حيث المقاومة المتعجلة قد تكون اقصر الطرق الى حرب اهلية تهدد ليس فقط بتحويل العراق حقلاً من الدم، بل باغراق المنطقة بأسرها في الرمال المتحركة. قطعاً، ليس الاحتلال سبيل الاستقرار. لكن المقاومة العراقية، كما هي الآن وكما يمكن ان تتحول، ليست هي ايضاً سبيل النهوض. ولنفترض مثلاً انها انتصرت، بمعنى انها اجبرت الاميركيين على سحب قواتهم، فهل سيكون ذلك في مصلحة الشعوب والدول العربية المجاورة؟ وهل لاي دولة عربية، او لاي شعب عربي في جوار العراق، مصلحة في ان يصبح مقتدى الصدر، او من يوازيه في المقلب السني، رمز العراق الجديد والمثال الذي يحتذى؟ ولمزيد من التحديد، هل تستطيع السعودية وسوريا والاردن، من دون ان ننسى لبنان، تحمّل ثمن الفوضى المستديمة في العراق؟ يا ليتنا لم نكن نعرف الجواب مسبقاً، لكننا صدقنا ان الامور هي حقاً بالبساطة التي يصورون، وان أم المعارك ليست الحرب الحبلية بحروب اعظم.

سمير قصير



Id-Reference	04-Pr-000633	
Media	(Support)	HC
Title		أمّ المعارك... الحبلى بالحروب
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٤/٤/٩ 9/4/2004
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	جورج بوش - صدام حسين - مقتدى صدر
	Locations	عراق - السودان - جزائر - صومال - لبنان - ولايات متحدة - ليبيا - سيراليون - سعودية - سوريا - الأردن - يابان
	Dates	
	Themes	عراق - احتلال أميركي - حرب أهلية - أم معارك - ديموقراطية - ولايات متحدة - امبراطورية أميركية - مقتدى صدر - حرب أهلية - مقاومة عراقية - عرب
Subject		